الجوهر الإنساني، خلقه، ميثاقه مع الله تعالى، نظرية التركيب فيه

د. خيرية الجربي (*)
كلية الآداب – جامعة الزاوية

المقدمة:

نحمدك اللهم ونستعينك ونستغفرك، ونصلي ونسلم علي نبيك الأمي، وعلي آله وصحابته الأكرمين . أما بعد ...، فقد قال جل من قائل في محكم تنزيله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [سورة الإنسان:1] فمن هو الإنسان؟ كيف كان مبدؤه؟ ونقصد هنا من الإنسان هو الإنسان الحقيقي، الجوهر المعنوي، الذي تجلت فيه عظمة الخالق سبحانه وتعالى، إنه العالم المصغر .

تساؤلات كثيرة احتار فيها العلماء والفلاسفة من قديم الزمان، فما المعنى تحديدا لهذه المصطلحات؟

الروح، النفس، العقل الباطن، العقل الواعي، الوعي، الإدراك، وما إلى ذلك .

الإنسان تركيبة عجيبة، بداخله طاقات جبارة، ومواهب متعددة وأحيانا لا يدركها، فهي قد أشبهت الحديد المغلف بالصدأ، الذي عند إزالته تخرج علينا طبقة الحديد اللامعة ذات اللون الفضي .

وهذا الجسد بالنسبة للإنسان أشبه الثوب أو المعطف، قد يكون ثوبا جميلا بديعا وقد يكون غير ذلك لكنه سيحتويه إلى حين لينطلق الإنسان الجوهر ويكمل رحلته في سفر الوجود بثوب آخر يلائم كل مرحلة من مراحل تنقله إلى أن يستقر في الجنة وإما في النار .

أهمية الموضوع:

يهتم الإنسان بجسده، يرعاه، يحافظ عليه ويتعلم العلوم والمعارف المتعلقة بهذا الجسد، مما تتركب أجهزته الحيوية؛ ما الأمراض التي تصيبها؟ كيف هي سبل الوقاية؛ ماهي الأغذية المناسبة؟ ماهي الأعشاب البديلة عن الطب الكيميائي؟ ماهي الرياضات البدنية التي تناسب كل فئة عمرية؟ اهتمام بالغ بهذا الجسد، وهو يستحق، فالإنسان ينفق الأموال الطائلة لأجل الصحة والحيوية وطول العمر والجمال أيضا . ولا غرابة في ذلك .

والحقيقة أن صحة الإنسان الجسمية لها علاقة وطيدة بصحته النفسية أو الروحية –سمها ما شئت؛ لأننا لم نحدد التسمية الصحيحة بعد – العلاقة بينهما قوية

(*) Email: hanan.bezan@academy.edu.ly

متلازمة فالصحة النفسية والجسدية تؤثر كلاهما في الأخرى، فالإنسان الذي يعاني من عاهات خلقية أو تشوهات يؤثر هذا في نفسيته وقد تنشأ لديه عقد النقص وأحيانا يتجه إلي تعويض هذا الشعور بالعدوانية أو الكبر، والقليل من يتوازن ويحاول تنمية مواهبه ويرضى بما قسم له رب العباد .

وبالمقابل فإنه توجد الكثير من الأمراض الجسدية هي نفسية المنشأ، وبعضها يصيب الجلد وأخرى تصيب الجهاز الهضمي وغيرها الجهاز الدوري وبقية أجهزة الجسم .

فجدير بالإنسان أن يهتم بجوهره المعنوي يجب أن يحسن رعايته وتهذيبه وترويضه، لأجل أن يحيا في الدنيا بسلام ورضا ويكن في الآخرة من الفائزين ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:27]

أنت أيها الإنسان ليس ذلك الجسد الطويل أم القصير، أبيض كنت أم أسود اللون، منحك الله الجمال الباهر أم كنت من الذين يقال في وصفهم وجه مقبول، أنت ذلك الجوهر، تلك المضغة التي إن صلحت صلح سائر عملك والا فلا يصلح شيء، تلك المضغة التي لا يغفل عنها علم الرحمن أبدا " إن الله لا ينظر إلي صوركم وأجسادكم ولكن إلى قلوبكم "، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19] تلك المضغة هي جوهرك، أنت ذلك القلب الذي قال عنه سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: 46] ما أعقد الذات الإنسانية مجموعة أم متفرقة، وجدان، وعي، قلب، نفس، روح، ضمير، عقل كلها حقائق معنوية تعبر عن الذات الإنسانية ككل أم عن جزء منها .

مشكلة البحث :

والحق أن فكرة هذا البحث شغلتني لسنوات مديدة من عمري، تساؤلات متعددة وكان يشدني البحث في هذه المسائل والتي قد تتسم بطابع فلسفي بعض الأحيان أضف إلى ذلك هذا الزخم الهائل من المعلومات التي تنشر عبر وسائل الاتصال الحديثة وقد يكون بعضها خاطئا مضعفا للعقيدة بل إن منها ما هو أقرب للخرافات منها للحقيقة وأغلبها يتعلق بأمور غيبية يجب ألا نؤمن بها إلا بدليل قطعي من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) .

ومن المؤسف له أن بعض هذه الأفكار أصبحت كاليقين عند بعضهم يحدث بها وينشرها محذرا غيره من الوقوع في نفس النتائج المهلكة، فنجد بعضهم مثلا يحدثك عن الدخان الذي خرج من قبر المطرب الفلاني، ويؤكد لك آخر عن الأفعى التي وجدوها في قبر فلان، وأن الموتى يتباهون في قبورهم بأكفانهم ،وما إلى ذلك من هذه المعتقدات المنحرفة عن جادة الصواب، وأغلبها غيبيات لا نستطيع إدراكها بالعين المجردة، أو بالأذن، أو بالعقل، بل نؤمن بما جاء فيها من كتاب الله والسنة الموقرة الصحيحة، هل أصبح المسلمون اليوم بحاجة إلي دلائل ومعجزات حسية حتى يؤمنوا؟

لذا كانت هذه الدراسة لإبراز خصائص هذا الجوهر الإنساني بعيدا عما وصف به من أوهام وخرافات والاعتقاد الصحيح فيما جاء بكتاب الله وسنة رسوله.

هذه الأولى، أما الثانية: فإن في هذا نزع لغطاء الغفلة الذي قد يكون غلف القلب، وإزالة للران عليه، فمتى تفكر هذا القلب وتماثلت أمام ناظريه حقيقة وجوده الأول في هذه الدنيا وما سيؤول إليه أمره فيها ؛قوى عنده اليقين وأدرك لا محالة بقصر إقامته في دار الفناء فاللقاء قريب جدا والحساب أقرب وأسرع وليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار فليحسن أو يسئ الاختيار.

والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي وسأعتمد بعونه تعالى على المصدر الأول الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [كتاب الله تعالى] وصحيح سنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وشروحها وأمهات كتب التفسير وبعض التفاسير الحديثة وما انتقيته من كتب العقيدة والفلسفة الإسلامية والأخلاق وغيرها من بحوث عبر شبكة المعلومات الدولية فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها عض عليها بالنواجد .

وبتوفيق من الله تعالى نبدأ في عرض مطالب هذا البحث كالتالي:

المطلب الأول : الخلق في لغة العرب وكيف كان خلق آدم؟

الخلق في لغة العرب هو: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه . وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه . وقال أبو بكر الأنباري: الخلق في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإنشاء على مثال أبدعه والآخر التقدير .

وقال في قوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[المؤمنون: 14] معناه: أحسن المقدرين "[1].

فالله سبحانه وتعالى خلق أي ابتدع الإنسان الأول أي أوجده على مثال لم يسبق إليه خلقه جسدا وجوهرا وسماه " آدم " وحتى تتضح صوره خلق آدم الجوهري لابد من الإشارة إلى خلق آدم الجسد .

خلق آدم الجسد // خلق الله تعالى آدم الجسد من أديم الأرض بعد أن أتم سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض – خلقه جسدا من تراب ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾[المؤمنون:12] وقال ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [الصافات:11] وقال جل من قائل: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: 7] هذا أول خلقه من أديم الأرض وتطور هذا الخلق فجعل الله سلالة آدم من نطفة " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى " [الحج: 5] .

وفي سورة المؤمنون يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [الآيات من 12 –14] .

نفخ الروح في آدم الجسد : وبعد ان أتم الله سبحانه وتعالى خلق آدم الجسد أخبر الملائكة بأنه متى نفخ فيه الروح وجب عليهم أن يسجدوا له تكريما وتشريفا: ﴿ إِذْ

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص: 71–72] ومما ذكره ابن كثير عن خلق آدم: " فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملاكة: قل الحمد لله فقال له الله: رحمك ربك . فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلان إلى ثمار الجنة وذلك حين يقول الله تعالى [2]: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: 37] والآية السابقة ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ...﴾ [ص:71] فيها دليل على أن خلق آدم الجسد سبق نفخ الروح فيه وقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الروح فنزل قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: 85] والمقصود هنا بالسؤال عن الروح هو ماهيتها أي حقيقتها وهذا مالا يمكن لكائن من كان أن يصل إليها؛ لأنها سر إلهي نفخه الله في آدم فتحول من كيان مادي طيني إلى جسد بشري من لحم وعظم ودم وأعصاب وعقل ووجدان وإدراك أما عن بعض خصائص الروح فقد ذكرت في كثير من الأحاديث الصحيحة نذكرها في مواضعها المناسبة لاحقا وهذا لا يتنافى مع قوله تعالى:﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ فشتان بين إدراك حقيقة الشيء وبين إدراك بعض خصائصه، والملاحظ أن الروح لديها في القرآن الكريم إطلاقات عديدة جمعها ابن القيم فقال: الروح في القرآن الكريم على عدة أوجه [3]: أحدها: الوحي كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى:52] ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [غافر:15] وسمي الوحي روحا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح"[4]

الثاني // القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها الله من شاء من عباده المؤمنين [5] كما قال: ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [المجادلة:22] .

الثالث // جبريل [6] كقوله تعالي: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء:193] وقال جل من قائل: ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة:97] وهو روح القدس قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل:102]

الرابع: الروح التي سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها من أمر الله وقد قيل بأنها الروح المذكورة في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ:38] وأنها الروح المذكورة في قوله: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر:4]

وقال ابن عباس أنه ملك من الملائكة وهو أعظم مخلوق بعد العرش يقوم يوم القيامة صفا والملائكة صفا.

وقيل هو جبريل وقيل هو جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤوس وأيد وأرجل روي هذا عن ابن عباس أيضا وقيل هم أشراف الملائكة والبعض قال بأنهم حفظة الملائكة وقيل غير ذلك.[7]

الخامس: المسيح ابن مريم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [النساء:171] ويستثني ابن القيم أرواح بني آدم مما ذكر في أنها لم ترد في القرآن إلا كلمة النفس بخلاف الأمر في السنة حيث جاءت

لفظتا النفس والروح مترادفتين يقول: " وأما أرواح بني آدم فلم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس قال تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران:185] وقال تعالى:﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾[الأنعام:93] وقال جل جلاله: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف:53] وقال عز من قائل:﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة:2]

وقال عز ذكره: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:7–8]

ونختم بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:27] وأما في السنة فجاءت بلفظ النفس والروح " [8] وسيتم الحديث عن معنى لفظتي النفس والروح لاحقا إن شاء الله.

روح آدم هل هي مخلوقة أم أزلية قديمة ؟

سؤال مهم حير العقول أخذا من قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص:71–72] فقد يظن بعض الغافلين أن قوله تعالى ﴿مِنْ رُوحِي﴾ أن الإنسان فيه من روح الله [أي أن فيه جزءاً من الله] تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والحقيقة أن هذه الآية تدلنا على أمرين مهمين هما:

الأول : أن روح آدم هي نفخة إلهية.

الثاني : أن هذه الروح إما أنها خلقت مع آدم الجسد المادي وإما قبله ولكن نفخت فيه بعد استوائه واكتمال خلقه.

وكون هذه الروح نسبها الله إليه ليس معنى ذلك أنها جزء منه تعالى الجبار العظيم القهار عن ذلك علوا كبيرا؛ لأن هذا سيعني أن جميع البشر من عهد آدم وإلى قيام الساعة في أجسادهم أجزاء من ذاته سبحانه وتعالى وهذا يعني قولنا بالحلول والاتحاد وهذا بالطبع محال. ولكن – كما قال علماؤنا – نسبها الله إليه تشريفا وتكريما.

يقول ابن القيم مفصلا هذه المسألة [9]:" وأما استدلالهم بإضافتها إليه سبحانه بقوله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [الحجر:29] فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله سبحانه نوعان: صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته وصفات له غير مخلوقة وكذلك وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ومصنوع إلى صانعه لكنها إضافة تقتضي تخصيصا وتشريفا يتميز به المضاف عن غيره كبيت الله وإن كانت البيوت كلها ملكا له وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقه لكن هذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وإيجاده"

ويبين ابن القيم أن الإضافة الخاصة إليه تعالى تقتضي اختياره لبعض مخلوقاته وهو يخلق ويختار ما يشاء وأن إضافة الروح إليه سبحانه هو من الإضافة الخاصة وليس من نوع إضافة الصفات يقول ابن القيم:

" الإضافة العامة تقتضي الإيجاد والخاصة تقتضي الاختيار والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه كما قال تعالى:﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص:68] وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب إضافة الصفات ... فأضاف النفخ إلى نفسه وهذا يقتضي المباشرة منه تعالى كما في قوله: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:75] ولهذا فرق بينهما في الذكر في الحديث الصحيح في قوله – صلى الله عليه وسلم:" فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء [10] فذكروا لآدم أربع خصائص اختص بها عن غيره ولو كانت الروح التي فيه إنما هي من نفخة الملك لم يكن له خصيصة بذلك وكان بمنزله المسيح وسائر أولاده فإن الروح حصلت فيهم من نفخة الملك وقد قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [الحجر:29] فهو الذي سواه بيده وهو الذي نفخ فيه من روحه [11] ولسائل أن يسأل نتفق أن هذه الروح لله فهو خالقها ونفخها في آدم ولكن هل باشر الله سبحانه وتعالى النفخ أم كان هذا النفخ بأمره يقول ابن القيم:" إن الله تعالى هو الذي نفخ في طينته من تلك الروح هذا هو الذي دل عليه النص وأما كون النفخة بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أنها حصلت بأمره كما حصلت بمريم عليها السلام فهذا يحتاج إلى دليل والفرق بين خلق الله له بيده ونفخه فيه من روحه أن اليد غير مخلوقة والروح مخلوقة والخلق فعل من أفعال الرب وأما النفخ فهل هو من أفعاله القائمة به أو هو مفعول من مفعولاته القائمة بغيره المنفصلة عنه وهذا مما لا يحتاج إلى دليل وهذا بخلاف النفخ في فرج مريم فإنه مفعول من مفعولاته وإضافة إليه لأنه بإذنه وأمره فنفخه في آدم هل هو فعل أو له مفعول والذي يقصده ابن القيم هل النفخ منه تعالى مباشرة كما خلق آدم بيديه مباشرة أم تم هذا الأمر بواسطة أخرى بأمره سبحانه ونسبة إليه ويدلل بالنفخ في فرج مريم لكن الأمر بين فالنفخ في حالتها كان عن طريق الملك بأمر الله لذا نسبه إليه قال:" وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ" [الأنبياء:91] وقوله: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحريم:12] فالنفخ في فرج مريم فعل من مفعولات الله نسبة إليه؛ لأنه كان بإذنه وأمره .

ويتوقف ابن القيم ونتوقف أنه لا دليل على كون نفخ روح آدم كان من الله مباشرة أي هو فعل من أفعاله كالخلق أم كان بأمره فهو مفعول من مفعولاته ويختم ابن القيم بأنه الذي تأكد له في هذا الشأن أن هذه الروح مخلوقة يقول " وعلى كل تقدير فالروح الذي نفخ منها في آدم روح مخلوقة غير قديمة وهي مادة روح آدم، فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة وهو المراد "[12]

وقد سئل ابن تيمية عن الروح هل هي مخلوقة أم قديمة؟ فأجاب بقوله: " روح الآدمي مخلوقة مبدعة بإتقان سلف الأمة وأئمتها، وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحدة من أئمة المسلمين، مثل محمد بن نصر المروزي[13]، الإمام المشهور، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف أو من أعلمهم، ولذلك أبو محمد بن قتيبة [14] قال في كتاب اللفظ لما تكلم على خلق الروح قال: النسم: الأرواح قال: وأجمع الناس على أن الله خالق الجثة وبارئ النسمة، أي خالق

الروح، وقال أبو إسحاق بن شاقلا [15] فيما أجاب به في هذه المسألة، قال: هذا مما لا يشك فيه من وفق الصواب، إلى أن قال: والروح من الأشياء المخلوقة، وقد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشائخ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة "[16].

ويضيف ابن تيمية مستدلا على قوله في خلق الروح:" أن الحافظ أبو عبد الله بن منده، [17] قد صنف في ذلك كتابا كبيرا في الروح والنفس، وذكر فيه من الأحاديث، والآثار شيئا كثيرا، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي، وغيره، والشيخ أبو يعقوب الخراز[18]، وأبو يعقوب النهرجوري، [19] والقاضي أبو يعلى [20] وغيرهم، وقد نص على ذلك الأئمة الكبار، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى ابن مريم لاسيما في روح غيره " [21]

ويسوق ابن القيم أدلة كثيرة مؤيدا بها قوله ان روح آدم وذريته هي مخلوقة وليست قديمة أزلية نتوقف عند دليل واحد منها نتناوله بالتحليل وذلك لقوته وأهميته وخصوصيته لقول ابن القيم: " فإذا كان الملك الذي يحدث الروح في جسد ابن آدم بنفخته مخلوقا فكيف تكون الروح الحادثة بنفخة قديمة؟

وهؤلاء الغالطون يظنون أن الملك يرسل إلى الجنين بروح قديمة أزلية ينفخها فيه كما يرسل الرسول بثوب إلى الإنسان يلبسه إياه وهذا ضلال وخطأ، وإنما يرسل الله سبحانه إليه الملك فينفخ فيه نفخة تحدث له الروح بواسطة تلك النفخة فتكون النفخة هي سبب حصول الروح وحدوثها له " [22]

ويؤكد ابن القيم صواب رأيه بأن ماء الرجل وماء المرأة هما سبب تكون الجسد ونفخة الملك هي سبب حصول الروح وأيهما فاق الآخر كان الإنسان على شاكلته فمن البشر من تغلب عليه نفخة الملك فيكون روحانيا شفافا ومنهم من تغلب عليه مادة الأرض [نطفة ابن آدم] فيكون ترابيا سفليا أو ماديا، يقول ابن القيم: " كما كان الوطء والإنزال سبب تكوين جسمه والغذاء سبب نموه، فمادة الروح من نفخة الملك ومادة الجسم من صب الماء في الرحم، فهذه المادة سماوية، وهذه مادة أرضية فمن الناس من تغلب عليه المادة السماوية فتصير روحه علوية شريفة تناسب الملائكة، ومنهم من تغلب عليه المادة الأرضية فتصير روحه سفلية ترابية مهينة تناسب الأرواح السفلية فالملك أب لروحه والتراب أب لبدنه وجسمه " [23]

ونوافق ابن القيم فيما ذهب إليه مدللين على صحة قوله بالحديث الصحيح عن نفخ الروح في الجنين عن عبد الله بن مسعود أن: قال رسول ﷺ:" إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا، يؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح " [24] ولو سلمنا بأن الروح هي فعلا نفخة الملك فإننا لم نحط بحقيقتها إنما ذلك بعض خصائصها فما هي نفخة الملك يا ترى؟

حين ينفخ الإنسان فإنه يخرج من جوفه بخار الماء وغاز ثاني أكسيد الكربون لكن نفخة الملك لا يعلم كنهها إلا الله تعالى، وابن القيم هنا كأنه يجزم بأن الروح هي نفخة الملك حتى ينفي كونها قديما والملك يحملها وينفخها ولكن نرد عليه قائلين كونها مخلوقة لا يعني أنها بالتأكيد هي نفخة الملك بل يحتمل ان تكون مخلوقة سواء قبل خلق

البشر أو عند خلق كل واحد منهم ويحملها الملك بطريقة ما وينفخها في الجنين بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى فالمسأله لها وجهان / هناك روح مخلوقة مستقلة لكل جسد وهناك نفخة ملكية لهذه الروح فتتفاعل في الجسد الحي وتكسبه الإدراك والوعي والعقل وهذا يقودنا للمطلب الثاني من هذا البحث

المطلب الثاني : يوم الذر والميثاق

قال جل من قائل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 172– 173] .

في هذه الآية يخبر الله تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه " [25] قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:30]

وقال القرطبي:" هذه الآية مشكلة ... قال قوم: معنى الآية أن الله تعالى أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض، قالوا: ومعنى " وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ " دلهم بخلقه على توحيده؛ لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له ربا واحدا ... فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، والإقرار منهم، كما قال تعالى في السموات والأرض: ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت:11] وقيل: إنه سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها "[26]

والحق أن كتب التفسير والحديث تزخر بأحاديث تتعلق بتأويل الآية المذكورة، منها أحاديث مرفوعة ومنها موقوفة وبعضها صحيح والقليل منها ذكرت أن الله أخذ العهد والميثاق من ذرية آدم استخرجها من صلبه بعد أن مسح على ظهره واستنطق هذه الذرية فأقرت له بذلك وبعضها لم تذكر هذا الميثاق بل أشارت إلى استخراج الذرية من ظهره وتميزهم إلى فريقين: فريق الجنة وفريق النار وكل خلق بعمله.

وهي لطولها لن ننقلها كلها بل نكتفي بذكر بعضها، فمنها ما رواه الإمام أحمد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:" أخذ الله الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [27] .

قال ابن كثير عن هذا الحديث " رواه النسائي في كتاب التفسير ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم إلا أنه جعله موقوفا وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبير " [28]

ومما أخرجه الإمام مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾[الأعراف:172] فقال ابن

الخطاب:" سمعت رسول الله ﷺ – يسأل عنها فقال: إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون . فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟

قال رسول الله ﷺ: إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق الله العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخل به النار." [29] وهذا الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن جرير وابن ابي حاتم بن حبان في صحيحه من طرق عن الإمام مالك به "[30]

وأوضح ابن كثير " أن هذه الأحاديث كلها دالة على استخراجه تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر وقسمتهم قسمين: أهل اليمين، وأهل الشمال وقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار، ولا أبالي، فأما الإشهاد عليهم واستنطاقهم بالإقرار بالوحدانية فلم يجيء في الأحاديث الثابته وتفسير الآية التي في سورة الأعراف وحملها علي هذا فيه نظر "[31]

وفي قصص الأنبياء عن إسناد الحديث عن ابن عباس أنه " جيد قوى على شرط مسلم، رواه النسائي وابن جرير

والحاكم في مستدركه من حيث حسن بن محمد المروزي به، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه إلا أنه اختلف فيه على كلثوم بن جبر [وهو الراوي رقم 3 في سند الحديث] فروي عنه مرفوعا وموقوفا، وكذا روى عنه سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا وهكذا رواه العوفي والوالبى والضحاك وأبو حمزة عن ابن عباس قوله. وهذا أكثر وأثبت والله أعلم وهكذا روى عبد الله بن عمرو موقوفا ومرفوعا والموقوف أصح " [32]

كما ذكر ابن كثير أن جمهور أهل العلم قد استأنسوا بهذا القول وهو أخذ الميثاق على الذرية وهم الجمهور بما قال الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن النبي –ﷺ– قال: " يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به "؟ قال: فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك ما أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي. أخرجاه من حديث شعبة " [33]

وقد رواه البخاري بهذا المعنى، وبلفظ مشابه مقويا القول بيوم الميثاق وأخذه تعالى العهود والمواثيق على ذرية آدم بعد استخراجهم من ظهره فعاهدوه على السمع والطاعة.

فهذا الميثاق حجة الله على خلقه يوم القيامة، فقد عرفهم بذاته العلية، وما هو مريده منهم، فهو بذلك قد فطرهم على الاعتراف له بالوحدانية .

ونضيف لما سبق قوله ﷺ:" كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه "[34] أي أن الإنسان بفطرته التي فطره الله عليها والعهد الذي أخذه عليه يوم الذر قد خلق موحدا لربه لو ترك على سجيته لكن التربية وتوجيه الوالدين قد يكون سببا في انحرافه عن جادة الصواب وتركه الحنيفية السمحاء دين الفطرة السليمة كما قال جل من قائل:﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم:30] وقوله تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ

وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:14] يشير الفعل "زين" إلى أن هذا الميل للشهوات هو أمر طارئ من تزيين النفس والشيطان والأصل في الإنسان هو الفطرة السليمة .

ويستوقفنا قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:78] فالجنين يخرج من بطن أمه لا علم له بشيء من العلوم الدينية أو الدنيوية، ولا شك أن العلم بوجود الله وتوحيده هو أجل هذه العلوم جميعا . فهل هذه الآية تنفي صحة يوم الميثاق؟ وهل هناك تناقض حقيقي بينها وبين آية سورة الأعراف ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [172–173] وهل هذه الآية تناقض ما جاء في الأحاديث الواردة لهذا الشأن؟

أقول بتوفيق من الله: قوله تعالى:" لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا " فيه أقوال ثلاثة [والقول للقرطبي]: الأول: لا تعلمون شيئا مما أخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم – الثاني: لا تعلمون شيئا مما قضى عليكم من السعادة والشقاء. الثالث: لا تعلمون شيئا من منافعكم "[35]

وأقول – ولله الحمد – لو حملنا معنى الآية على أنها تعني لا علم لهم مما أخذ عليهم من الميثاق في أصلاب آبائهم فما أهمية هذا الميثاق الذي أخذه الله عليهم وذكره في كتابه الكريم؟

وبهذا ينتفي كل ما ذكرناه سابقا ولا يتفق معه بتاتا من صحة يوم الميثاق وما يقويه من أدلة.

إذاً فالمعنى الأقرب للسياق هو الثاني والثالث، أي أن الإنسان يأتي إلى هذه الدنيا دون إرادة واختيار ولا يعلم مصيره هل هو إلى سعادة أم إلى شقاوة ولا يعلم شيئا من المنافع، ولكن يكتسب العلوم شيئا فشيئا، إلا أن الله من رحمته لعباده أن خلقهم على الفطرة السليمة، وأخذ عليهم الميثاق كما أرسل إليهم الرسل والرسالات حتى لا تكون لهم على الله حجة يوم العرض الأكبر – والله أعلم.

المطلب الثالث:الروح والنفس عند فلاسفة وعلماء المسلمين.

اختلف الفلاسفة والعلماء قديما وحديثا في أمر الروح والنفس، وهل هما مترادفان أم مختلفان. وإننا نعرض بعض أقوالهم في هذا الشأن، وكان الرأي ألا نتعرض لآراء غير المسلمين؛ لأن الديانة ولا شك تؤثر فيما يرونه، فمثلا تناسخ الأرواح [36] عند بعض الأمم والشعوب يجعل تعريفهم للروح يتناسب مع هذه العقيدة المضلله. وبالتالي نكتفي بما قاله علماؤنا وفلاسفتنا المسلمون قديما وحديثا.

فابن القيم – مثلا – يرى بأن الروح هي مرادفة للنفس. حيث يقول: " أما الروح التي تتوفى وتقبض فهي روح واحدة وهي النفس " [37]

ويرى ابن مسكوبة بأن النفس ليست جسما ولا جزءا من جسم ولا عرضا"[38]

"والعرض في الفلسفة ما يوجد في حاملة ويزول عنه من غير فساد حاملة، ومنه ما لا يزول عنه، فالزائل منه كأدمة الشحوب وصفرة اللون، وحركة المتحرك، وغير الزائل كسواد القار، والسبح، والغراب، وتعرض الشيء: دخله الفساد "[39]

فإن مسكويه يرى بأن النفس لا تعتمد في وجودها على الجسم إنما الجسم هو الذي يقوم عليها.

ومن كتاب أراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها [40]" ننقل قول الفارابي في النفس الذي يرى بأنها جوهر روحاني قائم بذاته ويعرفها بقوله: هي جوهر الإنسان وليست عرضا من أغراض الجسم، فالإنسان في نظره مكون من عنصرين:

أحدهما النفس وهي جوهر إنساني من عالم الأمر والمقصود بعالم الأمر هو العالم الإلهي، والآخر البدن وهو من عالم الخلق أو العالم المادي، والنفس عند الفارابي يوجد لدى الإنسان والحيوان وللنبات وللكواكب وللسماء وللعالم وتختلف كل نفس عند الأخرى "

وهو يرى بأن لهذه النفس عدة قوى يحصرها في الآتي:

القوة الغاذية التي يتغذى بها الإنسان، والقوى الحاسة وهي الإدراك بالحواس الخمس المعروفة، والقوى المتخيلة وهي واحده وعملها حفظ ما رسم في النفس من المحسوسات بعد غيابها عن الحس وتقوم بتخيل ما حدث وما سيحدث .

والذي يقصده هنا بالقوى المتخيلة هي الذاكرة وملكة الخيال والإبداع الفني والفكري فلا إبداع دون القدرة على التخيل وفرض الفروض والقدرة على التحليل والاستنتاج.

ومما يؤخذ على الفارابي اعتقاده بأن النفس توجد لدى الكواكب والنباتات وكل العالم كما أنها موجودة في الإنسان، نعم هذه المخلوقات لديها نوع إدراك بدليل تسبيحها الخالق سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:44] والذي أراه أن هذا الإدراك لا يمكن أن يطلق عليه نفسا والله أعلم.

بينما يضع ابن سينا [41] النفس في المقام الأعلى فيقول: " وإنما أعني بالنفس ذلك الجوهر الكامل الفرد الذي ليس من شأنه إلا التذكر والتحفظ والتفكر والتمييز والرؤية ويقبل جميع العلوم ولا تميل عن قبول الصورة المجردة المعرّاة عن المواد وهذا لكونه رئيس الأرواح وأمير القوى والكل يخدمونه ويتمثلون أمره "

وسمي هذا الجوهر بالنفس الناطقة وهو مرادف عنده للنفس المطمئنة المذكورة في القرآن الكريم، وهو يرى أن القلب والروح واحد، ويحدد تعرف النفس الناطقة بأنها:" هي الجوهر، الحية، العلامة، الفعالة، المدركة، وحيث نقول الروح المطلق والقلب إنما نعني به هذا الجوهر ".

أما الإمام الغزالي فقد ذكر بأن النفس هي الأصل الجامع للصفات المذمومة في الإنسان، كما يرى بأنها هي الإنسان الحقيقي، لكنها توصف بأوصاف مختلفة حسب أحوالها، كما يرى بأن ألفاظ النفس والروح والعقل والقلب تطلق على النفس الإنسانية التي هي محل المعقولات وهي من عالم الملكوت [42].

فهو لم يبين كيف هي من عالم الملكوت ثم تصبح الأصل الجامع لكل الصفات المذمومة في الإنسان

ويقول محي الدين بن العربي: إن النفس هي ما يعنيه الإنسان حين يقول أنا [43]. وربما يقصد أنها الإنسان ككل.

ومن المحدثين الشيخ الشعراوي الذي يرى بأن النفس تنشأ عند التقاء الروح بالجسم لذلك فإن التكليف يقع على النفس الإنسانية، وليس على الروح وحدها ولا المادة وحدها ويقول:" حين تلتقي الروح بالجسم تنشأ الحياة الأرضية أو تنشأ النفس " ويضيف أن الروح هي سر ما في الجسم من حياة "[44]

أما الأستاذ عبد الكريم الخطيب فقد فرق بين الروح والنفس ووصفهما بأنهما قوتان غيبيتان تسكنان هذا الجسد فيكون بهما معا هذا الإنسان الحي السميع البصير العاقل المميز بين الخير والشر.

ويفصل القول بأن الروح هي مبعث الحياة وهي التي تخرج هذا الجسد الهامد إلى عالم الحياة والحركة، ويدلل بآيات من القرآن الكريم بأن النفس هي الإنسان العاقل المكلف وهي الإنسان الذي يفرق بين الخير والشر والحلال والحرام، ثم هي الإنسان بجميع شخصياته جسدا وروحا .

وهو كالإمام الشعراوي يرى بأن النفس تخلقت من التقاء الروح بالجسد، والنفس هي ذات الإنسان وهي مشخصاته التي تبنيء عن ذاته.

ومن المحدثين أحمد شوقي إبراهيم الذي يقول:" النفس جوهر مستقل خلقه الله تعالى وجعله جزءا من الذات الإنسانية المكونة من النفس والعقل والروح، وخلق الله تعالى لكل إنسان نفسا لا تكون لغيره فإذا نفخ الروح في الجنين فمعنى ذلك أن الذات الإنسانية كلها نفخت في الجنين؛ لأن كل ملكات الذات الإنسانية لا تنفصل عن بعضها البعض ولا تتفرق وهي دائما في اتصال مع بعضها البعض حتى في أثناء النوم عندما تخرج الروح لا تنفصل عنه ولا عن باقي ملكات الذات الإنسانية وإنما تظل مرتبطة بها ارتباطا لا ينفصم أبدا لا في الحياة الدنيا ولا في الحياة الآخرة "[45]

وإني أقرب إلي الاتفاق مع رأي الإمام الشعراوي والشيخ عبد الكريم الخطيب ولتوضيح ما أراه صوابا في هذه المسألة أقول: إن القرآن الكريم لم يعبر عن أرواح بني آدم إلا بلفظة " النفس " أما روح آدم فقط عبر عنها بلفظة "روح" لقوله تعالى:﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [ص:72] أما ما عدا ذلك فهي نفس، والشواهد على ذلك كثيرة كقوله تعالى:﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر:27–28]، وقوله جل من قائل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران:185] وقولـه:﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [لقمان:34] وقولـه:﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر:38] .

فالنفس لديها أحوال وأوصاف فهي مطمئنة تارة، وراضية مرضية تارة أخرى، وقد تكون لوامة، وهي تتذوق طعم الموت، وهي رهينة بأعمالها التي كسبتها في الدنيا.

وفي هذه الآيات وغيرها كثير مما لم نذكره فإن النفس في القرآن الكريم هي تعبير عن الجوهر الإنساني أو الذات الإنسانية ككل هي الإنسان الذي يخاطبه الله في القرآن.

أما السنة النبوية فقد جاء التعبير عن الجوهر الإنساني فيها بلفظة الروح تارة وبالنفس تارة أخرى كقوله ﷺ:"إن الروح إذا قبض تبعه البصر " [46] وقوله: " ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره؟ قالوا: بلى. قال: فذلك حين يتبع بصره نفسه [47] "وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة أن الرسول ﷺ قال:" أن المؤمن تحضره الملائكة [أي عند الوفاة] فإذا كان الرجل الصالح، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب .....الخ "[48]

فالروح تسمى روحا عند نفخها في الجنين لما ورد في ذلك من أحاديث صحيحة، منها قوله ﷺ:" إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة قبل ذلك، ثم يكون مضغة قبل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح " [49] وهي عندما تفارق الجسد بالنوم.

وعند قبضها بالموت تسمى نفسا " اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا " [الزمر:42].

نلاحظ أن إطلاق لفظي الروح والنفس على الجوهر الإنساني يتغير فهو يسمى "روحا" قبل النفخ في الجسد وبعد الخروج بالموت أو النوم، ويطلق عليه " نفسا" عند الاحتضار؛ لأنه لايزال في الجسد.

فالجوهر الإنساني هو روح فإذا نفخت في الجسد والتحمت به، وداخلها حب الشهوات، وتحركت فيها غرائزه تحولت إلى مسمى آخر وهو " النفس " وكل خطابه تعالى للإنسان المكلف في القرآن الكريم جاء بلفظة " النفس "، فالنفس هي الإنسان بعقله وإدراكه وكامل وعيه هي الذات الإنسانية كاملة.

الإنسان كيان مادي وكيان معنوي جسد من لحم وعظم وأعصاب وقلب يضخ الدم إلى كل خلية من خلاياه لا يتوقف ليلاً نهاراً وللروح قلب وهو حتما ليس هذا القلب المادي الذي هو عضله بحجم قبضة اليد، هذا القلب أخبرنا عنه الحق تبارك وتعالى بأنه يقع في الصدر قال تعالى:" فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" [الحج:46] هو رائد الروح في الخير والضلال.

وعندما علمنا ربنا سبحانه وتعالى أن نستعيذ به من الوسوسة أخبرنا أن هذه الوسوسة تقع في الصدر الذي يحوي القلب وهو قلب الروح هو العقل بلغة القرآن الكريم، فكلمة القلب لم ترد فيه إلا تعبيرا عن العقل المدرك لحقائق الأمور قائد النفس للهداية أم الغي والضلال. [50]

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:28] وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:179]

فالقلب موطن الذكر واليقظة والوعي والادراك والعلم، وهو مقياس المشاعر صادقة كانت أم كاذبة، وكلما صفا من الكدرات والشوائب والمشاعر السوداوية والأخلاق

الذميمة كلما كان حدسه صادقا لا يخطئ وكان استقباله للأنوار الإلهية كبيرا، فيشع صفاء ونورا وإشراقا، وقد يتبحر الإنسان في أصعب العلوم الطبيعية والتطبيقية ويكون ذا ذكاء خارق إلا أنه له قلب مظلم قاسي بعيد عن الله فلا علاقة بين الذكاء والعلم والتقوى لأنها في القلب وهذا القلب الصافي يميل بطبعه إلى أمثاله من ذوي القلوب الصافية، المحبة للخير والسلام التي لا يدخلها حقد أو حسد أو كبر أو رياء فهذا مما يفسد القلوب ويفسد الأعمال لقوله ﷺ:- "الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف " [51] وفي معنى هذا الحديث قال الخطابي:" يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد، وأن الخير من الناس يحن إلى شكله، والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت وإذا اختلفت تناكرت . ويحتمل أن يراد الإخبار عن بدء الخلق في حال الغيب على ما جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجسام وكانت تلتقي فتتشارك، فلما حلت بالأجسام تعارفت بالأمر الأول فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من العهد المتقدم"[52]

وأقول إن الاحتمالين واردان فالأرواح المتشابهة تتجاذب وهذا بالتجربة، وقد ذكر العقلاني في شرح هذا الحديث قصة المرأة المزاحة التي نزلت بالمدينة فأقامت عند امرأة تشبهها في المرح والمزاح.

كما أن الافتراض الثاني وهو خلق الأرواح وتلاقيها وتعارفها قبل الأجساد قد يكون والله أعلم.

وجدير بالذكر أن ننوه إلى مسألة مهمة وهي الفرق بين العقل والدماغ أو المخ، فكما ذكر آنفا أن لفظة القلب ما ذكرت في القرآن إلا لتعني عقل الروح وهذا العقل يقع في الصدر أما الدماغ أو المخ والذي هو الجزء الرئيسي من الجهاز العصبي هو غير العقل.

قد يقول قائل:" نحن نفكر بأدمغتنا وبها نتخذ القرارات، والعلم يقول إن بالدماغ توجد مراكز التحكم بالأجهزة والأعضاء وبه مراكز للتفكير واللغة والذاكرة والملكات أو المواهب، الدماغ هو كل شيء! [53]

وإليه أقول نعم: نحن نفكر بأدمغتنا، ونشعر بالأفكار تتزاحم في رؤوسنا، وبعضهم يستعين باحتساء فناجين القهوة والشاي ليزداد فكره اتقادا وحيوية، ولكن هناك إلهامات كالوميض الخاطف تشع من أنوار القلب صاعدة إلى الدماغ رابطة عجيبة بين قلب الروح في الصدر والدماغ كأنه إرسال واستقبال، تبادل إشارات، هناك الكثير من الأمور والحقائق التي لا نستطيع إدراكها وإثباتها في معامل الفيزياء والكيمياء ؛لأنها غيب محض فوق مستوى العقل البشري ؛ النفس البشرية، تركيبة عجيبة، الجنين في بطن أمه يرى أحلاما وهو لم ير النور بعد، " فمن خلال استغراقها في النوم لاحظ الباحثون أن أنماط تلك الذبذبات تتشابه إلى حد كبير مع أنماط نشاط ذبذبات أدمغة أشخاص بالغين خلال استغراقهم في مرحلة حركات العين السريعة [وهي المرحلة التي تحدث فيها الأحلام] ومن خلال ذلك استنتج الباحثون أن الأجنة تدور في أدمغتها أحلام خلال نومها، ورجحوا أن معظم تلك الأحلام تكون ذات طبيعة صوتية أكثر من كونها ذات

صور بصرية " [54] وهذا أمر طبيعي لأن الجنين يسمع الأصوات لكنه لا يرى إلا الظلام .

هذه الروح التي نفخت في الجنين هي التي جعلته يتفاعل مع محيطه المحدود ويعيش أحلاما قد تكون سعيدة وقد تكون مزعجة ومن كل ما ذكر أود أن أسجل في هذا البحث ما أسميته بنظرية التركيب الإنساني والتي يقول نصها في بنوده الثلاثة –

الأول – الإنسان كائن مركب من عدة عناصر لا عنصر واحد وهذه العناصر مرتبطة ببعضها ارتباطا قويا لا تنفصل بسهولة فهو أشبه بالمركبات [55] في الكيمياء التي لا تنفصل عناصرها إلا أثناء التفاعل الكيميائي أما مكونات أو عناصر الإنسان تنفصل بسهولة في الوقت المناسب كما في النوم والموت. تنفصل عناصره المعنوية عن كيانه المادي.

الثاني – الإنسان مركب من عناصر متفاوتة تفاوتا بينا، جسدا أصله تراب، ورح عاقلة قام بنفخها ملك قد تكتسب منه بعض الطبائع الملكية، وتتفاعل هذه الروح مع الجسد لتنتج نفسا هي مطمئنة أحيانا ولوامة أحيانا أخرى، وأمارة بالسوء في بعض الأحيان.

أضف إلى ذلك وكل به قرينان يلازمانه أحدهما من الملائكة والثاني من الشياطين، قال تعالى: ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [ق:27]

فعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال:" إن للشياطين لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاز بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاز بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم [56]، ثم قرأ:﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:268] .

عن أبي سعيد الخدري عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: " إذا كان أحدكم يصلى فلا يدع أحدا يمر بين يديه فإن معه القرين "[57]

واخرج الإمام أحمد قوله ﷺ:" كل ابن آدم يطعن الشيطان بأصبعه في جنبه حين يولد، غير عيسى بن مريم، ذهب يطعن، فطعن في الحجاب "[58]

كما أخرج ما رواه عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال:" ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، ولكن الله تعالى أعانني عليه فلا يأمرني إلا بالخير " [59]

ومعه كاتبان من الملائكة؛ كاتب الحسنات عن يمينه وكاتب السيئات عن شماله، ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:18].

والحفظة من الملائكة جعلهم الله لحفظه ورعايته: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:11] " وهذا الجسد المادي يستوطنه ظاهرا وباطنا تريليونات من الكائنات الحية الدقيقة من بكتيريا وفطريات وطفيليات كلها لا ترى بالعين المجردة ترتكز على الجلد والفم والأمعاء [60] ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:21].

ومن المعلوم أنه لو كبر جسم الإنسان بالمجهر الإلكتروني [61]؛ يرى الأعاجيب وينفر من ذاته من هول ما يراه مجتمعا على جلده وفتحتي أنفه، وتحت أظفاره من كائنات حية دقيقة متحركة؛ إنها مستعمرات تشاركه هذا الجسد.

الثالث – تعريف الروح حسب نظرية التركيب الإنساني: الروح هي ذلك السر الإلهي الذي يقوم الملك الموكل بالأرحام بنفخه في الأجنة البشرية الحي؛ لتتحول هذه الأجنة بقدرة إلهية مذهلة إلى بشر كامل بوعيه وعقله، وحركته، ونموه، وإدراكه، ووجدانه، وباتحادها بالجسد تصير نفسا بشرية عاقلة يؤثر فيها قاسمان مشتركان: العالم العلوي الذي جاءت فيه، وقاسم الشهوات من جسدها المادي الترابي الأصل.

فالروح التحمت بالجسد بواسطة نفخة الملك، وقد يكون لهذه النفخة من حيث القوة أو الضعف أو المدة أو نوع غذاء الأم وعوامل البيئة والتغذية، ومزاج الأم أو حالتها النفسية وعوامل الوراثة، قد يكون لكل ذلك أثر في نشوء طبع الجنين ومزاجه، فالبعض روحاني حساس رقيق والبعض غليظ الطبع، قاسي القلب، أضف إلى ذلك عوامل البيئة من تربية وتهذيب وفي كل هذا يتفاوت البشر أيما تفاوت.

من كل ما ذكر يمكن تحديد أهم الفروق بين روح آدم الأب، وأرواح بنيه فيما يلي:

الأول – إن روح آدم هي روح مخصوصة نسبها الله إليه تشريفا لها.

الثاني – إن الله تعالى هو الذي نفخها، ولكن هل باشر ذلك ام لا؟ لا دليل.

الثالث – نفخت في آدم بعد اكتمال خلقه جسدا.

الرابع – إن نفخ الروح في آدم كان معها سر حياته، فقد كان جسدا من طين لا حياة فيه، وبعد نفخها استوى قاعدا، مبصرا، مفكرا، متكلما، دبت فيه الحياة، فعطس وتكلم، وأدرك ما قيل له، فتعلم، ونظر إلى الجنة واشتهى ثمارها.

الخامس – هي روح متميزة خاصة حولت آدم إلى إنسان كامل ناضج عاقل متكلم من اللحظة الأولى.

السادس – آدم البشر الوحيد الذي خلقه الله بيديه الكريمتين ونفخ فيه من روحه.

السابع – أما أرواح بني آدم فتختلف عن روحه، إذ أنها تنفخ في الجنين في الشهر السابع من عمره.

الثامن – يقوم بنفخها الملك الموكل بالأرحام.

التاسع – الجنين به علامات الحياة كنبض القلب، قبل نفخ الروح فيه.

العاشر – الجنين عند نفخ الروح فيه لم يكتمل نموه العقلي والانفعالي، والجسمي.

الحادي عشر – هي روح متماثلة عند ذرية آدم جميعها من حيث الماهية وتختلف في بعض الخواص الأخرى.

الثاني عشر – تكتسب هذه الروح صفات أخرى مادية بعد نفخها في الجسد، وتعايشها معه، وتتحرك فيها الغرائز وحب الشهوات، وتتغير مع مراحل حياة الإنسان وتسمى " نفسا "

الثالث عشر – هي محل التكليف من الإنسان وهي المخاطب فهي المعبرة عن ذاته الإنسانية.

من كل ما ذكر يتبادر إلينا سؤال هام. هل الروح هي الحياة أم هل هي سر الحياة؟

وإليه أقول: إن الروح ليست هي سر الحياة إنما سر الحياة انتقل من آدم أبي البشر إلى ذريته عبر الجينات الوراثية؛ فالجنين استمد حياته من البويضة الحية المخصبة؛ فهي قبل نفخ الروح بها علامات حياة وموت يعرفها الأطباء وعلماء الأحياء.

فالروح هي سر الوعي والإدراك والوجدان والعقل والحركة، هي سر بشرية الإنسان، الجنين قبل نفخ الروح لا يتحرك مع أنه حي، قلبه ينبض بالحياة، يضخ الدم إلى كل خلية من خلاياه، لديه حياة مادية، حياة الجسد، اخترت أن أسميها بالحياة الدنيا أو الحياة الأولية؛ لأنها دون إدراك أو وعي، أما حياته بعد نفخ الروح يمكن أن نطلق عليها " الحياة الراقية " لأنه اكتسب بها البشرية الكاملة في أول مراحلها من وعي وإدراك وحركة ووجدان.

فالبرغم مما" استقر في ذهن الغالبية العظمى من الناس أن الحياة هي الروح وأن الروح هي مرادف للحياة، هذا يجافي الحقيقية، فكل حياة ليس شرطا أن يكون بها روح، ولكن كل روح يكون معها حياة "[62]

ومن هنا يتبين أن الروح لا تكون إلا في الحي، فالجنين حي لذا نفخت فيه الروح ولزيادة الإيضاح يجب أن نعلم أن " مفهوم الحياة هو قدرة كل خلية على الاستمرارية سواء كانت كائنا وحيد الخلية، أو جزءا من كائن متعدد الخلايا، وهذه القدرة تتم بواسطة عمليات كيميائية تتمثل في استهلاك المواد الغذائية لإنتاج مادة الخلية نفسها لتنمو أو تتكاثر أو تصلح جزءا أفسد منها، وهذا النشاط

"D.N. A" الكيميائي الحيوي يتم تحت سيطرة الحامض النووي

الذي يوجد داخل نواة الخلية في أي كائن حي على وجه الأرض، والذي يعتبر بذرة الحياة الأولى.

وقد وجد أن مادة الحياة الأولى في سائر المخلوقات تشترك في أنها تتألف من نفس العناصر التي نراها حولنا في التراب، مثل الكربون، والأيدروجين بنسب وعلاقات مختلفة، والغريب أن الخلية الحية والميتة تحتويان على نفس العناصر

عن إعطاء الأوامر "D.N. A"الكيميائية، ولكن عند حضور أجل الموت يتوقف يجوز لنا أن نطلق عليها " سر الحياة " الذي أودعه الله عز وجل في الخلق الأول لكل كائن حي، وينتقل موروثا إلى نسله في وسيلة التكاثر سواء كانت حبوب لقاح في النباتات، أو حيوانات منوية وبويضات في الثديات، فسبحان الذي وضع في الخلية سر الحياة وسبحان من ينزعه منها "

" سر حياة الإنسان يبدأ من النطفة الحية للرجل (الحيوان المنوي)، كائن حي نراه تحت المجهر يتحرك بنشاط باحثا عن بويضة ليخترقها، ويكون النطفة (الأمشاج) وهي البويضة الملقحة، وبالرغم من وجود حياة في الحيوان المنوي فليس به روح وهذا ما أوضحه القرآن الكريم "[63]

المطلب الرابع : وراثة العصيان والنسيان من آدم إلى ذريته

عبر سفر الحياة العملاق [الشريط الوراثي] حلقة الوصل بين أجيال البشرية من عهد آدم وحتى قيام الساعة تنتقل الصفات الوراثية خلال الجينات الوراثية الموجودة به من جيل إلى جيل.

" ومنذ أكثر من قرن مضى وضع جريجور مندل [64] أسس توريث الصفات التي تفترض على أن كل صفة يتحكم بها عامل موجود في الخلية أطلق عليه جين وهو يمثل الوحدة الوراثية لصفة معينة مما ترتب على هذا الافتراض Gene ولادة علم الوراثة الذي أصبح يهتم بدراسة الجينات من حيث الوظيفة والتركيب بالصورة التي نعرفها الآن "[65]

ويمكن تشبيه الجين في خلية الكائن الحي بكتاب الحياة أو سجل الحياة أو لوح محفوظ أو دليل سري يتكون من سطور هي الصبغيات [كروموسومات] وتتألف هذه السطور من كلمات هي المورثات وتتكون كل كلمة من حروف هي القواعد النيتروجينية أي الأبجدية الهجائية للغة الوراثية، ويمكن تقريب حجم هذا الكتاب الضخم للقارئ هكذا: تحتوي نواة كل خلية جسدية في جسم الإنسان 46 صبغي ويحتوي الطاقم الوراثي في مجموع هذه الصبغات ثلاثة بلايين نيوكليوتيدة، واختصارا للإحصاءات فكأن هذا الكتاب العظيم يحتوي ألف مجلد ويتألف كل مجلد من ألف صفحة وتحتوي كل صفحة عدة سطور وكلمات مجمل عدد حروفها هو ثلاثة آلاف حرفٍ للصفحة الواحدة "[66]

فخطيئة أبو البشر الأولى ونسيانه وجحوده انتقل كل ذلك منه إلى ذريته عبر جيناته الوراثية، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك. فرأى رجلا فأعجبه وبيص ما بين عينيه. قال أي رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال: له داوود. قال: رب وكم جعلت عمره.؟ قال: ستين سنة. قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة. فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت، قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داوود؟ فجحد آدم فجحدت ذريته.، ونسى آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته " [67]

ناهيك عن خطيئة آدم الأولى وهو في الجنة إذ نهاه ربه عن الأكل من الشجرة المحرمة فأزله الشيطان واتبع خطواته ونسي تحذير ربه فأكل هو وزجه منها فعصى بذلك ربه وأخرج من الجنة فالخطأ والنسيان والعصيان والجحود هو من جبلة البشر، ينتقل فيهم من لدن آدم عبر جيناتهم الوراثية جيلا بعد جيل في أطوار الوجود إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

الخاتمة والتوصيات :

1- الإنسان كيان معنوي متحد بكيانه المادي، ذات إنسانية هي المخاطبة في القرآن باسم [النفس]، هي موطن التكليف والحساب والجزاء تقود هذا الجسد إما إلى الجنة وإما إلى النار.

2- فعلى ابن آدم أن يرتقي بهذا الجوهر النفيس، وكما يبالغ في الاهتمام بكيانه المادي، طعاما وشرابا ونظافة وعلاجا؛ عليه أن يسوس نفسه ويحسن رياضتها وتهذيبها وتطهيرها وقهرها وقيادتها إلى الخير ففي ذلك خلاصها إلى الجنة بإذن الله.

3- على الإنسان أن يتقبل الاختلاف بينه وبين الآخرين فالبشر ليسوا كلهم سواء يختلفون حسب تركيبتهم الوراثية، وظروفهم البيئية.

4- أن يكثر التأمل في ملكوت الله وليبدأ بالتأمل في ذاته وسيلاحظ الكثير مما يزيد من قربه لربه سبحانه وتعال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

5- أن ينمي الإنسان مواهبه وقدراته فهي من خصائص جوهره الحقيقي الذي يميزه عن الآخرين.

أن يؤمن بأنه ملاق ربه لا محالة، ملاقيه جسدا ماديا وكيانا معنويا؛ فليستعد ليوم اللقاء.

واختم بالصلاة على من بعثه الله نورا ورحمة للعالمين، والحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

1. لسان العرب، ابن منظور، باب الخاء، ص 139.
2. قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق محمد سيد، دار الآثار/ القاهرة، ط1، 2001م، ص40.
3. الروح، دار المقطم للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 2008م، ص168.
4. تفسير القرطبي، ج15، ص299.
5. تفسير ابن كثير، ج4، ص479.
6. ابن كثير، ج3، ص562
7. القرطبي، ج19، ص187
8. الروح، ص168.
9. المصدر السابق، ص169
10. صحيح البخاري، ج2، كتاب تفسير القرآن، باب (ذرية من حملنا مع نوح)، ص534.

11. الروح، ص169.
12. المصدر نفسه، ص170.
13. محمد بن نصر المروزي، ولد سنة 202 هـ ببغداد ونشأ بنيسابور وسكن سمرقند وتفقه على أصحاب الإمام الشافعي وهو فقيه عابد إمام أهل الحديث في زمانه بلا منازع الروح، ص170.
www.al-eman.comكتاب طبقات الشافعية الكبرى
14. أبو محمد بن قتيبة الدينوري، أديب، فقيه، محدث، مؤرخ، عباسي، له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار وأدب الكاتب توفي سنة 889 م
https://wikipedia.org
15. أبو إسحاق بن شاقلا، شيخ الحنابلة، البغدادي، كان رأسا في الأصول والفروع، توفي سنة 369 هـ، سير أعلام النبلاء، ج16
islamweb.org/ar/library
16. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، المجلد الرابع (العقيدة) 16-
fatwa<https://ar.islam way.net
17. https://wikipedia.org -17
18. أبو يعقوب الخراز، لم نجد له ترجمة.18-
19. أبو يعقوب النهرجوري، أحد علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، صحب الجنيد، وأقام بالحرم مجاورا حتى مات سنة 330هـ
https://wikipedia.org
20. القاضي أبو يعلى، حنبلي، عالم عصره من أهل بغداد، تولى القضاء، له تصانيف أهمها: الأحكام السلطانية، كتاب الطب، الكفاية في أصول الفقه، توفي سنة 458 هـ.
المكتبة الشاملة
Al-maktaba.org/author/1
21. . مجموع فتاوى شيخ الإسلام-
22. الروح، ص162.
23. المصدر السابق، ص162.
24. صحيح البخاري، ج3، كتاب القدر، باب في القدر، ص348.
25. تفسير ابن كثير، ج2، ص387.
26. تفسير القرطبي، ج7، ص26314.
27. تفسير ابن كثير، ج2، ص388. والحديث حسن أخرجه الإمام أحمد تحت رقم (272/1).
28. المصدر نفسه، ج2، ص388.
29. الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ص29.278-
30. قصص الأنبياء، ص30.45-
31. المصدر نفسه، ص31.46-

32. المصدر نفسه، ص نفسها، والحديث صحيح رواه أبو داوود، ج4، باب كتابة السنه، باب في القدر، ص226، كما أخرجه الترمذي، ج5، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف، ص266.
ومن موقع الدرر السنية – الموسوعة الحديثية، إشراف// علوي بن عبد القادر السقاف. الحديث صحيح، صحيح ابن جابر تحت رقم// 6166.
33. المصدر السابق، ص33.47-
34. صحيح مسلم، طبعة مرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، من مجلد واحد رقم (2658)، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، الدار الذهبية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ن، د.ط، ص1318.
35. تفسير القرطبي، ج10، ص151.
36. تقمص الروح أو التناسخ، أو رجوع الشخص البشري إلى الحياة في جسد إنسان آخر وهي فكرة فلسفية ودينية تعني بأصلها اللاتيني الدخول في الجسد مرة أخرى وتختلف تفاصيلها في الديانات والمذاهب *
wiki ar Wikipedia.org*
37. الروح، ابن القيم، ص233.-
38. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص14.-
39. لسان العرب، ج10، باب العين، ص101.-
40. تحميل هذا الكتاب عن مؤسسة هنداوي، صدر سنة 2016م، ص63/62.-
www.hindwi.org/books
صحيفة المثقف، د. عدنان الظاهر، الجمعة، 30–7–2010م، العدد 1473– مقال بعنوان // الروح والنفس والجسد في الفلسفة والأديان.
41. ينظر كذلك كتاب " ابن سينا والنفس الإنسانية، مكتبة نور– الرئيسية أ. د. محمد خير عرقسوسي علم الفلسفة والمنطق أ. حسن ملّا عثمان .
42. إحياء علوم الدين، ج2، كتاب شرح عجائب القلب، ص532.-
43. الروح والنفس والعقل، ص139 .
44. المصدر نفسه، ص139.-
45. المصدر نفسه، ص نفسها.
46. صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له، ص418
47. المصدر نفسه، باب في شخوص بصر الميت يتبع نفسه، ص419.-
48. ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ج2، ص1261– رقم الحديث 4262 والحديث صححه الألباني.
49. صحيح البخاري، ج3، كتاب القدر، باب في القدر، ص348.
عالم الروح بين الطاقة والمادة،
50. عالم الروح بين الطاقة والمادة، عبد الثواب عبد الله حسين، دار تحوتي للبحوث والنشر، ط1، 2001م، ص53.بتصرف
51. صحيح البخاري، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم، ص51.171-
52. فتح الباري، العسقلاني، ج6، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، مكتبة الصفا، ميدان الأزهر، القاهرة، ط1، 2003م، ص461.
53. https:// www.asabme.com

54. www.alraimedia.com
الرأي – رئيس التحرير: وليد جاسم الجاسم، بقلم / عبد العليم الحجار سلسلة تساؤلات مدهشة. 28-12-2018م.
55. المركب هو اتحاد عنصرين أو أكثر اتحادا كيميائيا، ويمكن فصل عناصره بوسائل كيميائية وفيزيائية كالطاقة والحرارة، أما العنصر فهو مادة نقية لا يمكن تجزئتها إلى مواد أبسط منها بوسائل فيزيائية أو كيميائية.
https://wikipedia.org
56. سنن الترمذي، أخرجه الترمذي وقال عنه حسن غريب، إسناده صحيح. ملتقى أهل الحديث.
Book،https://al-maktaba.org/book/31
57. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب يرد المصلي من مر بين يديه، ج1، ص129، بلفظ مشابه، ومسلم في الصلاة، منع المار بين يدي المصلي، ص236.
58. البخاري، ج2، كتاب بدء الخلق/ باب صفة إبليس وجنوده، ص58160.
59. مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، ص1395.
60. الكائنات الحية الدقيقة في جسم الإنسان – ويكيبيديا.
htt://ar.wikipedia.org/1
61. يكبر المجهر الإلكتروني النافذ الأشياء حتى 2.5 مليون مرة.
htt://ar.wikipedia.org/1
62. هل الروح هي سر الحياة. د. عبد الهادي مصباح 2013.11.6م.
http://drabdelhadymesbah.com
63. المصدر نفسة.-
64. جريجور مندل، ولد سنة 1822م، عالم وراهب نمساوي، مؤسس علم الوراثة الحديث، توفي سنة 1384.
https://wikipedia.org
65. استنساخ الجين، ترجمة عبد القادر عبد الرؤوف المالح، المكتب الوطني للبحث والتطوير – طرابلس – ليبيا – ط1، 2004م، ص11.
66. الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء، كارم السيد غنيم، دار الفكر العربي، مدينة نصر – القاهرة، ط1 – 1998م، ص24.
67. قصص الأنبياء، ابن كثير، ص41 –42 والحديث صحيح أخرجه الترمذي (3076) وصححه الشيخ الألباني في تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف حديث أبي هريرة.